دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	فاعلية العلوم الانسانية
المصدر:	مجلة عالم التربية
الناشر:	عبدالكريم غريب
المؤلف الرئيسي:	القريض، سالم مصطفى
المجلد/العدد:	ع 16
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2005
الصفحات:	40 - 50
رقم MD:	339182
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	السلوك ، العلوم الانسانية ، الفلسفة الحديثة، التيارات الفكرية ، الحضارة الغربية ، العولمة ، الظواهر الانسانية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/339182

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

فاعلية العلوم الإنسانية

د. سالم مصطفى القريض
أستاذ مساعد بجامعة السابع من أبريل- الزاوية ليبيا

من جملة الإشكاليات المطروحة، سيتم التركيز على الإشكالية الأساسية المتمثلة في تراجع دور العلوم الإنسانية أمام تزايد سيطرة العلوم التقنية.

فالعلوم الإنسانية هي المحددة لهوية الإنسان ولثقافته ومعتقداته وهي المحددة لعلاقته بالإنسان الآخر، أخلاقيا وسياسيا واقتصاديا ولتعامله مع محيطه.

وقد أدرك المعتدلون من العلماء (وهم الغالبية) هذه الحقائق ودعوا إلى ضرورة إخضاع التقنية لمعايير العلوم الإنسانية وخاصة الأخلاقية والقانونية. وهذه دعوة كل إنسان عاقل، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتقنية الحربية والذرية والبيولوجية، حفاظا على كرامة الإنسان وهويته. وأدرك هؤلاء كذلك، أهمية تطوير العلوم الإنسانية كي تكون فاعلة للقيام بدورها الإنساني في كبح لجام العلم التقني وتقنين سلبياته.

إن استقراء تاريخ العلوم، يظهر وبكل وضوح، ديمومة الحاجة إلى العلوم الإنسانية والدعوة قائمة لضرورة التفعيل المستمر لهذه العلوم، بما يؤهلها للقيام بوظيفتها في توجيه البحوث والاكتشافات العلمية ذات المردود الأفضل على الإنسان.

تمهيـــد :

يتنوع مفهوم العلوم الإنسانية بتنوع اختصاصات الباحثين، فعلماء اللغة العربية، يقولون إن لفظ الإنسان مفرد جمعه أناسي والأناسي بالتعريف،والإيناس: خلاف الايحاش وكذلك التأنيس والأُنس، والأَنس: الطمأنينة [1] ؛ فالإنسان يأنس بغيره ويطمئن لوجوده معه ؛ وهذا لـه دلالته من حيث أن الإنسان بطبعه لا يعيش منعزلا، فهو كائن اجتماعي عن ميل فطرى، أو عن حاجة دفعته إلى ضرورة إيجاد هذا الاجتماع، وهما الاتجاهان المفسران لنشأة الحياة الاجتماعية الأولى .

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج1،ط3، دار المعارف بمصر،ص 148-149.

والعلوم الإنسانية بمعناها الاصطلاحي، تدرس الإنسان لتكشف دلالة الأفعال والمطالب الاجتماعية واتجاهاتها، فهي فعل الإنسان وتفاعلاته تجاه تحقيق هذه المطالب ؛ فالإنسان كائن فاعل ومتفاعل، لأنه عاقل وواع ومريد[2]. والإنسانية تدل على ما اختص به الإنسان من الصفات، وهذا المعنى متفق عليه؛ فالفلاسفة القدماء يقولون إن الإنسانية هي المعنى الكلي المجرد الدال على ماتقوم به ماهية الإنسان ...، والإنسان عندهم لا يبلغ أعلى مراتب الإنسانية إلابإخراج مافي قوته إلى الفعل، حتى يصبح إنسانا كاملاً، ويوافق تقريبا مفهوم الانسانية في الفلسفة الحديثة المفهوم القديم [3]. وقد شهد هذا المفهوم تطورات واسعة على يد الفلاسفة المعاصرين ؛ فإذا كان أصحاب النزعة الانسانية يؤكدون على الطبيعة المتنوعة والمتغيرة للانسان، فإن مدرسة التحليل النفسي ترى بأن هناك دوافع نفسية توجه السلوك الانساني ؛ ويذهب اصحاب النزعة الاجتماعة الى التركيز على أهمية التنشئة الاجتماعية التي يكتسب الانسان عن طريقها خصائصه الانسانية[4]، ونقف في هذا العصر على ثلاثة من أهم التيارات الفلسفية التي اهتمت أكثر من غيرها بالعلوم الانسانية ؛ أقصد الوجودية والماركسية والبنيوية ؛ ففى حين تذهب الوجودية إلى اعتبار الانسان كائنا انطلوجيا حرّاً لاتحد من حريته العلاقات بكل صورها، تذهب الماركسية الى اعتبار الانسان كائنا واقعيا فاعلا داخل شبكة كبيرة من العلاقات الاجتماعية[5]؛ لتجيء البنيوية عند **ستروس** معطية الأولوية للعلاقات الانسانية دون الاشياء ؛ اقتناعاً منها بأن العلاقات هي التي تحدد طبيعة الاشياء، ولكنها في نظر **ستروس** علاقات موضوعية ثابتة لايعيها الافراد ؛ بل هى التي تحدد دورهم التاريخي والمجتمعي ووظيفتهم، وتكون لهذه العلاقات دلالاتها الواقعية[6]؛ **فاستراوس**، يريد من وراء هذا التحديد لدلالة العلاقات الواقعية، جعلها قابلة لتطبيقات المنهج الوضعي .

وبعد هذا، فإن ما يمكن تحديده كهامش للاتفاق بين هذه التيارات الفكرية، اتجاه معظم مفكريها، إلى أن تكون العلوم الإنسانية مختصة بدراسة الإنسان ككائن متفاعل مع نفسه ومع الاخر (الله، الانسان، الكون)، فالإنسان الفاعل والمتفاعل هو المحور، وهو الذى يتجه دائماً إلى البحث على أفضل الطرق والأساليب، للسيطرة على ذاته ومحيطه، فكان بذلك خليفة لله في أرضه.

وتوالت جهود الانسان فى تنظيمه لمجالات حياته وبناء علاقاته المختلفة في تطورات متوالية، تميزت فيها العلاقة بين المعرفة النظرية وتطبيقاتها بحالات من الانسجام والتوافق احياناً، والتباعد والتنافر احياناً أخرى ؛ واستمر هذا السجال إلى العصورالحديثة (القرن الثامن عشر والتاسع

---

(2) اميل بوترو،العلم والدين،ترجمة احمد فؤاد الاهوانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973،ص222 ومابعدها .

(3) جميل صليبا،المعجم الفلسفى، مج1، دار الكتاب اللبنانى بيروت، مكتبة المدرسة بيروت، 1982،ص 158-159.

(4) احمد النكلاوى، الانسان العربى وعلم الاجتماع الحضرى، مجلة الحكمة قسم الفلسفة والاجتماع، كلية الاداب جامعة الفاتح طرابلس ليبيا، العدد الثانى،1977،ص276-297 .

(5) زكريا ابراهيم، مشكلة الانسان، (د.ط)، مكتبة مصر القاهر، ص 16 .

(6) سالم يفوت،مفهوم الواقع في التف(9)زكى نجيب محمود، المرجع السابق ذكره، ص73.

عشر)، الذي اختلف عن الاتجاهات القديمة والوسيطة، بأن كان اتجاهاً غلبت عليه الواقعية المادية؛ الأمر الذي ترتب عليه اضمحلال بعض من العلاقات الهامة للانسان،وخاصة منها علاقاته الدينية.

وبتزايد الاتجاه إلى العلم الوضعي، وبتراكم نتائج الكشف العلمي، حدث أن صارت الآلة وتقنياتها، سيدة العلم في كافة مجالاته ؛ بحيث انشغل الانسان المعاصر بالآلة وتقنياتها وانبهر بدقتها وقدراتها، فأخذته عن نفسه وقيمه الى عالم المادة موضوع اختصاصها، الأمر الذي أدى ببعض من أهل العلم الوضعى الي نسيان أن هذه الآلة، مهما بلغت في دقتها وقدراتها، لاتزيد على أنه المصمم لها والبانى لنظرياتها والمبرمج لوظيفتها وفقاً لإرادته، ولا تزيد على كونها عاملاً مساعداً له في أعماله وأبحاثه[7].

وأمام هذه النجاحات المتوالية للمناهج الوضعية في مجالات العلوم المادية، وما وفرته للانسان من تقدم وأفضلية على كافة الاصعدة المادية الواقعية ؛ اتجه العلماء الى اقتفاء أثر هذه المناهج في مجالات العلوم المختلفة وخاصة الإنسانية ؛ فكانت المحاولات المتكررة بشأن تطبيق هذه المناهج على مايخصه كانسان (نفسيا واجتماعياً واقتصادياً ...)، لتنشأ بذلك أزمة العلوم الانسانية المتمثلة في تطبيق منهج العلوم الطبيعية على موضوعاتها و تحولها هى الاخرى، إلى علوم للوقائع؛ كما نجده في اتجاهات علم النفس الفيزيائى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع كل من فخنر وفيبر وفونت ؛ وكما نجده في علم الاجتماع الوضعى عند اوجست كونت في مايعرف بالفيزياء الاجتماعية ؛ وفي علم الاجتماع الشكلي الذى نشأ في ألمانيا وحاول أن يستوحي المنهج الرياضي في إقامة علم الاجتماع، و لتتوج المدارس المعاصرة : الماركسية الوجودية والبنيوية، هذا الاتجاه في التركيز على واقيعة الظواهر الانسانية ودلالاتها[8].

وهكذا، وبعد أن كانت السيطرة في التفكير القديم والوسيط للعلوم الانسانية بدافع انسانى أو معرفي أو ديني أخلاقي أو حياتي، فإنها تحولت في هذا العصر للعلوم التقنية الوضعية ؛ الأمر الذي تطور إلى أن أصبحت آليات وتقنيات هذه العلوم، تتدخل وبشكل مباشر، في توجيه تفاعلات الإنسان وفاعليته الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، حتى صار الاقتصاد محركا للعلاقات الانسانية، والمنفعة محددة لقيمة الروابط بين الأفراد والشعوب ؛ مما أدى إلى الفردية والأنانية، فصار الانسان اكثر انعزالاً والمجتمع اكثر تفككاً ؛ الأمر الذي أدى إلى انحسار القيم الاجتماعية والاخلاقية والروحية[9]، هذا على الصعيد الداخلي في المجتمعات الصناعية، أما على صعيد العلاقات الدولية،فكان من نتيجة هذا الاتجاه المادي الوضعي وما تبعه

(7) زكى نجيب محمود، من زاوية فلسفية، ط3 دار الشروق بيروت، 1982,ص83-84.
(8) سالم يفوت، المرجع السابق ذكره، ص287-289 .
(9)زكى نجيب محمود، المرجع السابق ذكره، ص 73.

من طلب المنفعة والمصلحة الخاصة، أن صارت الدول الصناعية تتجرأ على تجاوز القوانين والمواثيق المنظمة للعلاقات الدولية من اجل تحقيق المنفعة والمصلحة الخاصة بها .

واذا كان الاتجاه النفعي الفردي المترتب على النظم الاقتصاديه والمادية في الدول الكبرى الصناعية، هو الموجه إلى حد كبير لمجريات الاحداث، فإنه أدى إلى ظهور تيارات فكرية، تعبر عن حالة الانسان الغربي الذي يعيش تحت وطأة هذا التوجيه المنهجي، فكان الاتجاه الوجودي المعبرعن حالة القلق والمعاناة والمصير المجهول للانسان، وكذلك الاتجاه الماركسي الرافض للفردية والانانية ؛ وإن كان في توجهاته اكثر علمانية وقهراً للانسان وانسانيته .

1 – العلوم الانسانية والعولمة :

تتصف القوانين التي تحكم المادة بالكلية والثبات في الزمان والمكان،وهذا ما تتجه إلى إقراره مناهج وأفكار القائمين على العولمة، أي تثبيت مفاهيم وقيم ونظم إنسانية واحدة ؛ وسنعلم خطورة هذا الاتجاه على الإنسان إذا علمنا أنه سعي من أهل الدول الغالبة إلى سيادة ثقافة وأفكار ونظم مجتمعاتهم على حساب ثقافة وأفكار ونظم المجتمعات المغلوبة[10]. وبمعنى أوضح، إنه اتجاه إلى ترسيخ ثقافة الغرب المادية على حساب ثقافة وقيم وتراث الانسانية للشعوب القابلة ؛ وعلى ذلك تكون العولمة إرادة لإختراق الآخر وسلبه خصوصيته[11]؛ فهي رسملة للعالم على مستوى العمق،بعد أن كانت رسملته على مستوى سطح النمط ومظاهره[12]. وهكذا تكون الصلة الوثيقة بين العولمة والإمبريالية بمفهومها السياسي والاقتصادي[13].

ومايدعم هذا الفهم ويؤيده، أن تاريخ الحضارة الاوربية الحديثة، نزع في معظمه نزعة عنصرية معادية لغير الانسان الغربي ؛ فعلى الصعيد الفكرى، نجد أن معظم المفكرين الغربيين ومؤرخى الحضارات من الأوربيين، لم يعترفوا بذلك الزخم العلمي الذي ورثته الحضارة الأوربية الحديثة عن الحضارات السابقة غير الاوربية خاصة ما أفادوه عن الحضارة العربية الاسلامية، اقرب الحضارات اليهم زمانا ومكانا[14]. وليس هذا التعنصر فقط على الصعيد الفكري، وانما يتعداه إلى مجالات الحياة العامة والمعاملات على النطاق الفردي والدولي. ولا يخفى كيف أن الغربي مقدم على غيره ومفضل عليه في حِلّه وترحاله، وكيف تمارس الحضارة الغربية الحديثة سياسية الغلبة والتحكم المباشرة وغير المباشرة (الدعاية،السيطرة الاقتصادية، السيطرة السياسية، السيطرة الفكرية واكثر من ذلك استعمال القوة العسكرية)، على اغلب دول العالم المستضعفة،

---

(10)

(11) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربى، العدد 228 /2, 1988، ص 18,17.

(12) صادق جلاله العظم، العرب والعولمة، ندوة فكرية، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 1998 ، ص28.

(13) عبدالله بلقزيز، العرب والعولمة، ندوه فكرية، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 1998، ص 69–70 .

(14) محمد ياسين عربيى، الاستشراق وتغريب العقل التاريخى العربى، المجلس القومى للثقافة العربية الرباط، 1991، ص131 ومابعدها .

ساعدها على ذلك ماامتلكته من قوة مادية وتقنية وتقدم معلوماتي هائل، وقد سخرت هذه القوة التقنية لأغراض نفعية خاصة لم تراع فيها حقوق الانسان في عمومه.

لقد ترتب على تقدم العلوم التقنية الوضعية ومحاولات تطبيقها على مظاهر الحياة الانسانية، أن أصبح النظر الى هذه السلوكيات والقيم الانسانية كأي جزء آخر من أجزاء الطبيعية ومكوناتها وكل الاتجاهات الانسانية التى لاتخضع لهذه الواقعية، المتمثلة في الشعور الباطني والقيم الروحية والعقدية وكل المعاني السامية، صارت لافائدة من البحث فيها. ولم يقف الأمر عنـد هـذا، بل تجرأ العلماء التجريبيون علـى الانسان ذاتـه بالتعديل والتطوير فـي خِلْقته (الاستنساخ) ؛ وذلك كله، إذا لم يحكم بالاخلاق والفضيلة، ينعكس سلباً على الانسان ذاته. وقد بدأ كثير من فلاسفة الغرب المعاصرين يشعرون بأهمية هذه المرجعية الأخلاقية، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وتفجير القنبلة الذرية[15]، وبعد أن بدأ العلماء أنفسهم يستشعرون أنه كلما نما العلم وتدققت تقنياته، صغر الانسان وتضاءل دوره رغم انه هو الباني للعلم والصانع للتقنية[16].

وفى استشعار الإنسان دائماً لمواضع الخطر على مصيره يجعله يبحث على الخلاص ويستنجد بالقيم والأخلاق على الدنيا الطاغية من حوله وعلى موجات الشمول الذى أراده الشموليون مثل هيجل فى عالم الفكر وماركس فى عالم المادة، وعلى الوجود الذاتى الفردى، الذي ترسخه الإمبريالية و الرأسمالية مدعومة بالاتجاهات الوضعية وتقنيات الآلة العصرية[17].

2 – حاضر العلوم الإنسانية :

يزداد اهتمام الحضارة الغربية المعاصرة أكثر بالعلوم التقنية و توظيفها واقعياً ؛ و هذا شيء يحسب لهذه الحضارة من اجل التقدم الانسانى المادي. وإذا اتجهنا في المقابل، إلى العلوم الإنسانية، فإننا نلمس أن درجة الاهتمام بها اقل بكثير عن المستوى الذي عليه تلك العلوم التقنية المادية ؛ الأمر الذي أدى إلى سيطرة العلم التقني بمناهجه الوضعية الواقعية، حتى صارت هذه المناهج مقياسا لعلمية العلم. ولهذا طوعت بقية المجالات المعرفية لتكون مستجيبة لتطبيقات هذه المناهج عليها حرصاً من علمائها على أن يشملها مفهوم العلمية .

وتتفاوت مواقف العلماء تجاه الأخلاقية في العلم، ففريق يتجه إلى البحث العلمي للعلم في ذاته، وتطبيق نتائجه و توظيفها عمليا دون مراعاة لأية تحكمات ؛ وفريق سمح لتدخل اعتبارات اخلاقية وقيمية فى تقييم نتائج العلم، يضاف إلى هذا تسخير العلم لتحقيق المصلحة والمنفعة، فكل فكرة او نظرية لاتصلح واقعياً ولا تحقق منفعة فإنها فكرة خاطئة كما يذهب اليه منطق المذهب العلمي السائد خاصة فى امريكا.

---

(15) زكريا ابراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مج1،دار مصر للطباعة القاهرة، 1989، ص 19 .

(16) زكى نجيب محمود، من زاوية فلسفية، المرجع السابق ذكره، ص83.

(17) المرجع السابق ذكره، ص 84.

والعلوم الإنسانية في مقدمة مجالات المعرفة التي شملها المفهوم السائد للعلم في هذا العصر، حيث تحولت من الواقعية إلى العلمية، فإلى أي مدى هي كذلك، أو يمكن أن تصير كذلك ؟ في هذا الخضم صارت العلوم الإنسانية تعانى من انحسار فاعليتها لسببين :

الاول :- أن تطبيقات العلم الوضعي بمنهجه التحريبي الواقعي، والتي تنتشر في مجال العلوم المادية (الطبيعية) التي ادت إلى نتائج ايجابية جدا، تمثلت في التقدم الهائل لهذه العلوم واستفادة الانسان من هذا التقدم المادى استفادة كبيرة، الامر الذى جعل من هذا المنهج وتطبيقاته معياراً لعلمية العلم ؛ وهو الذى دفع بالباحثين في مجال العلوم الانسانية الى اخضاعها لطرق ومقاييس هذا العلم التجريبي، فكان الاتجاه الى استكشاف واقعية العلوم الانسانية، وصار الموقف يتجه الي تصنيف هذه العلوم وفقاً لقابليتها لتطبيق المنهج التجريبي.

الثاني: وهو الاتجاه الذي يسود انماط الحياة الانسانية بشكل تندمج فيه اتجاهات الانسان الثقافية والروحية والاخلاقية مع حياته العامة، واقصد بصفة خاصة الاتجاهات التي لاتخضع لمناهج العلوم التجريبية. فهذا النمط من العلوم الانسانية تخلّف عن مسيرة العلم بمفهومه الوضعي الواقعي، وذلك لخصوصيته الرافضة لتطبيقات هذا المنهج .

وبشكل عام، فإن العلوم الانسانية وفي كافة مجالاتها، لم ترق إلى المستوى المكافئ لما عليه تقدم العلوم التجريبية،مما أدى إلى تأخر هذه العلوم ؛ وخاصة في جانبها غير القابل للواقعية، بحيث يمكننا تصنيف العلوم الانسانية فى درجة قابليتها للتقدم على الطرق التجريبية الى صنفين ؛ الأول : يشتمل على مظاهر واقيعة تجعله قابلاً للمناهج التجريبية ؛ والثاني : لاعلاقة له بالواقع، وانما هو شعور وذوق وتفاعلات باطنية غير خاضعة للتجربة .

أ) الموضوعات الانسانية الواقعية :

وهي التي تدرس المظاهر الخارجية للفكر والسلوك الانساني الدال على مواقف محددة، فتتخذ من هذه الوقائع علامات تشير إلى أنماط التفكير والاتجاهات والحالات النفسية للانسان، فهى معبرة عن اتجاهات انسانية، وهى في هذا تكون قابلة وبدرجة كبيرة لتطبيق المنهج التجريبي.

وتاتي الظواهر النفسية والاجتماعية المختلفة في مقدمة هذه العلوم الانسانية الواقعية،وهذا ما أتجهت إلى تطبيقه المدرسة الاجتماعية المعاصرة[18]، وكذلك المدرسة التحليلية في المجالات النفسية والفكرية، وكذلك المدرسة البنيوية ؛ يقول **هوايتهد**:إن خبرة الانسان في لحظة ما، ولتكن خبرتك الحالية، هي أشبه ماتكون بالحادث الطبيعي، أوهى في حقيقتها مركب من حوادث[19]. ويذهب **ليفي ستراوس**، إلى ان البنيوية منهج في ادراك **الظواهر الانسانية** خارج الوعي الذى لدينا عنها، مع اختيار بعض الانظمة الواقعية الخالية من المنظمات العلمية،وهذا

(18) احمد الأحمر، التخلف والتطور في المجتمعات النامية، مجلة الحكمة، المرجع السابق ذكره، ص 263-264.

على الأقل ظاهر كميادين مفضلة للدراسة[20]. وبذلك تحاول هذه الاتجاهات الواقعية ازالة الفارق بين الظواهر الطبيعية والظواهر الانسانية، والمتمثل في تدخل الإرادة الإنسانية وعامل الزمان والمكان.

وهكذا، اتخذ العلماء من الظواهر الواقعية في مجال العلوم الانسانية ميدانا للتجربة، ولكن قد لاتصل الدقة فيها إلى مستواها في العلوم الطبيعية لموانع تتعلق بالموضوعية التي تقل في هذا المجال من البحث عنه في العلوم الطبيعية، وبذلك كانت الموضوعية مشكلة العلوم الانسانية، بالاضافة الى خصوصية الاحكام في النتائج المتوصل اليها وعدم قابليتها للتعميم على كل افراد النوع، كما هو الحال في العلوم الطبيعية.

ب) الموضوعات الذاتية:

اذا كان ذلك حال الظواهر الانسانية الواقعية عند اخضاعها للمنهج التجريبى،فان هذا المنهج يكون غيرقابل للتطبيق على الموضوعات الانسانية الذاتية الباطنية (الروحية والذوقية والضمير الخلقي والاستجابات الباطنية) ؛ صحيح انه قد يكون لهذه التفاعلات الباطنية علامات في مظاهر السلوك الخارجي، ولكن تظل أحوالها وهويتها الباطنية خاصة وغير قابلة للتحديد والواقعية ؛ بمعنى أنها لاتكون قابلة لتطبيق المنهج التجريبي. ومن هنا كان مصير البحث في هذا الصنف من العلوم الانسانية، التخلف عن العلمية بمفهومها التجريبى. لكن رغم هذا، فإننا لاننكر فاعلية هذه الموضوعات وأهميتها في تشكيل شخصية الانسان وتفاعلاته ومشاعره ؛ ذلك أن الوعى، ليس قطاعاًمن الطبيعة الفيزيائية يمكن دراسته بمناهج تجريبية لأن الوعى ينطوى على المبادرة والمسؤولية، فهو الذى يضفي الدلالة الانسانية والمعنى على موضوعه[21]؛ يقول هوسرل؛ إن وراء كل تفكير علمي واقعي خبرات ماهوية ذاتية غير تجريبية، تكون حدسية وليس استدلالية، إنه القدرة على ايجاد معنى لما يعايشه المرء نفسه أو يعايشه شخص آخر، إنه فعل وليس استبطانا، إنه تأمل انعكاسي يكون محاولة للفهم،فهو بمثابة الجهد الفعال لذات شخص يفهم معنى خبرته [22]. وهذه هي الفينومينولوجيا التي سعى هوسرل وأتباعه إلى اقامة دعائمها فى فهمه لهوية الفعل الانساني وانتمائه النفسي.

وبذلك يمكننا تحديد حاضر العلوم الانسانية وفقا لمعيار التقييم السائد في علمية العلم المعاصر، والمتمثل في قابليته لتطبيقات المنهج التجريبى على علوم انسانية تدرس مظاهر السلوك والمؤشرات الخارجية للتفاعلات الانسانية واعتمادها كوقائع صالحة لتطبيقات طرق الاستدلال

---

(19) عزمى اسلام، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات الكويت، 1981،ص220.

(20) كلود ليفي ستراوس، حوار معه ضمن كتاب حوارات في الفكرالمعاصر، اعداد وترجمة: محمد سبيلا، شركة البيادر للنشر والتوزيع الرباط، 1991،ص13.

(21) روجيه غارودي، نظرات حول الانسان، ترجمة يحي هويدي، مطبوعات المجلس الاعلى للثقافة القاهره، 1983،ص43 .

(22) سعيد توفيق، الخبرة الجمالية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ،1992،ص2.

ومناهجه التجريبية، وعلوم انسانية باطنية (ميتافيزيقية) لاتخضع للتجربة، وإنما لها خصوصيتها الشعورية والروحية. ورغم إدراك العلماء لأهمية هذه الاتجاهات الباطنية في تكوين ميول الانسان واتجاهاته، إلا أنهم لايعترفون بها علمياً اعتماداً على مفهوم العلمية عندهم .

3 - الحاجة الدائمة للعلوم الانسانية :

رغم المكانة المتراجعة للعلوم الانسانية عن العلوم التقنية في هذا العصر، فإن السبق التاريخي والمنهجي كان دائما للعلوم الانسانية ؛ فعلى الصعيد التاريخي لا يخفى كيف اتجه الانسان منذ القدم وبكل قدراته الى البحث والتنظيم لأحواله الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية، وكذلك على الصعيد المنهجي ؛ فالعلوم الانسانية كانت سباقة ايضاً ؛ حيث إن مناهج النظر فى هذه العلوم، قديمة قدم اتجاهات الدراسة في تاريخ الانسان وعلاقاته ؛ وكذلك فالعلوم الانسانية لازمة من لوازم ممارسة العمل العلمى في كل وقت، لأن تفكير لايمكنه ان ينفصل تماماً عن عقلية العصر وثقافة العالم المتخصص ؛ ولأن تطور العلم فى عمومه، مرتبط بتطور العقلية الجماعية والثقافية وأساليب الحياة ونظمها وتشريعاته، أى بتطور المجتمع المدنى، والعكس صحيح ؛ وفى ذلك يذهب أوجست كونت إلى أن المثال الاساس للتطور الانسانى فردياً كان أو جماعياً، يقوم في علم الاجتماع الوضعي على تغلب انسانيتنا على حيوانيتنا[23] ؛ وهى تعنى تلك الصفات التى تعطي لحياة الانسان معنى وتجعلها اكثر قبولاً ؛ ذلك أن أي نظام إنسانى يتطلب انماطاً متجانسة فى العلاقات الاجتماعية،وهو يعتمد كذلك على العقائد والعواطف التي تؤدى إلى المشاركة الفعالة في نواحي النشاط الانساني المختلفة[24].

وباستمرار التعامل مع التقنية وآلياتها، توارت هذه الحقيقة بشكل أو بآخر على العلماء الوضعيين خاصة، الى درجة وصل معها الأمر ببعضهم في هذا العصر، أن اعتبروا الآلة وتقنياتها هى الاول والآخر وفي كل المستويات، وتناسى هؤلاء أن الانسان بثقافته وأساليب تفكيره هو العالم والمكتشف، وهو المسيّر لهذه الالة والموجّه لها في تأدية وظيفتها وفقاً لإرادته ؛ يقول بييردوهيم : إن ظل الذات الإنسانية يلقي دائماً على ملاحظات الظواهر، ولهذا لا تعود الظواهر كما هي في الطبيعة، بل كما تدرك من خلال العقل الإنساني[25] فالعلوم الإنسانية، هي المحددة لهوية الإنسان المنتمية لثقافته ومعتقداته، وهي المحددة لعلاقته بالإنسان الآخر أخلاقياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً ...، ولمستوى تعامل الإنسان العقلي والثقافي مع محيطه ؛ وعلى الصعيد العلمي، فهي المحددة لصفات العالِم ومستوى تعامله مع الأحداث، وصياغته لفروضه العلمية ؛ كما أن العلوم الإنسانية، هي معيار المدنية، لأن الإنسان الفرد التاريخي (كما يحدده فلهلم دلتاي رائد التيارات المعاصرة في فلسفة التاريخ) : هو في جوهره، يعيش في الزمان، ويتحدد

---

(23) جميل صليبا،المعجم الفلسفى، المرجع السابق ذكره، ص159 .

(24) محمد خيرى،التكنولوجيا والانسان،مجلة الحكمة،المرجع السابق ذكره،ص240.

(25) عبد الرحمن بدوى، مدخل جديد الى الفلسفة، ط2, وكالة المطبوعات الكويت، 1979, ص80

بأحوال وظروف معينة، ووجوده عملية زمنية تتحدد بالميلاد والموت، وتتألف من سلسلة متصلة الحلقات، تتألف من ماض وحاضر ومستقبل ؛ وتجري هذه العملية في إطار علاقاته مع الآخرين وعلاقاته مع الطبيعة ؛ ولما كان الفرد كذلك، فإن العلاقات بين الأفراد هي أيضاً علاقات تاريخية، وحياة الإنسان حياة تاريخية، وعالم الإنسان هوعالم التاريخ[26] .

وقد أدرك العلماء المعتدلون (وهم الغالبية) هذه الحقائق ودعوا إلى ضرورة إخضاع التقنية إلى معايير العلوم الإنسانية وخاصة الأخلاقية، وقد نشطت الدعوة إلى الأخلاقية في العلم، خاصة تجاه العلوم ذات الأثر السيء على الإنسان مثل العلوم الذرية والبيولوجية [27]، والى العمل على كبح لجام العلم وشطحاته المؤذية للإنسانية .

لقد كانت الدعوة، ومنذ القدم تستند إلى الأخلاقية في العلم، إدراكاً بأن وجهة العلم تتشكل حسب إرادة الإنسان الخيرة أو الشريرة ؛ لهذا يكون من الضروري إيجاد أفضل الطرق والمناهج البحثية المتجهة إلى تطوير العلوم الإنسانية والرقي بها ؛ وفي ذلك رقي بالضمير الإنساني والذوق العام وإحساس بجمالية الحياة وإيجابية دور الإنسان فيها، والأقرب إلى النجاة من هيمنة تقنيات العلم المادي، ومن مبدأ (ميكافيلي) الغاية تبرر الوسيلة (الذي صارت إليه السيادة السياسية والعسكرية والاقتصادية في بعض من أنظمة دول العالم المتقدمة تقنياً)، ومن حالة الاغتراب والقلق التي صار يعانيها الإنسان المعاصر وخاصة في هذه الدول، هو الذي يتجه إلى تفعيل العلوم الإنسانية والنهوض بها، وتوظيفها للسيطرة على التقنية ؛ وبتحقيق هذا يعود للإنسان وعيه بذاته وبالعالم الذي يعيش فيه، ولا يكون هذا الوعي سليماً إلا بالمحافظة على الذات والعالم؛ وكما يقول سارتر : يوجد الوعي والعالم في وقت واحد، فإذا غاب الوعي غاب العالم عنا [28].

وإذا طبقنا هذا على الحياة الاجتماعية وتوجهاتها، نجد أن كل المجتمعات في العالم تسعى للتنمية البشرية والمادية في بلادها، وتتفاوت مراحل التطبيق بينها ؛ ولكن علينا أن نعلم أن مفهوم التنمية يتضمن تحقيق الحضرية المتمثلة في تطبيق التكنولوجيا والتساند الاجتماعي الواسع النطاق والتعليم والحراك الاجتماعي، فضلاً عن التوحدات مع الكيان القومي للدولة[29]، لذلك لا يمكن الفصل بين الجانب المادي والجانب الإنساني الاجتماعي للتنمية، أعني أن التقدم المادي لابد أن يوازيه تقدم في عقلية ونفسية وثقافة الإنسان حتى يواكب ذلك التقدم، وعند حصول ذلك نتفادى الخلل في المجتمع. هذا على مستوى الدولة، ويمكن نقل هذا الفهم إلى المستوى العالمي .

---

(26) المرجع السابق ذكره، ص287-288.

(×) ويأتى هذا المؤتمر احساساً من المنظمين والمشاركين فيه بهذه المهمة .

(27) زكريا ابراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق ذكره، ص19.

(28) روجيه غارودي، نظرات حول الانسان، المصدر السابق ذكره، ص45.

(29) محمد الجوهرى وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، ط2, دار المعارف القاهرة، 1974,ص13-14 .

وإذا كان الاتجاه الذي تتبناه الدول الكبرى اليوم في السعي الحثيث إلى عولمة العالم وفقاً لرؤيتها ونظمها، اعتماداً على التفوق التقني الذي تمتلكه ؛ فإن هذا الاتجاه للعولمة لا يخلق توازناً ولا اعتدالا، بل يزيد الفجوة بين هؤلاء والشعوب المتخلفة تقنياً، ويؤدي إلي مزيد من السيطرة وخنق الحريات واغتراب الإنسان، ولا تكون العولمة عالمية إنسانية، إلا إذا كانت مبنية على التعاون الفاعل بين الشعوب المختلفة وفقاً للعلوم الإنسانية بما يحقق السيطرة على نتائج العلم وتقنياته وتوجيهها لخدمة هذه الثقافات المتنوعة بتنوع الشعوب والأجناس، فالإنسان هو الذي يجب أن يتحكم في توظيف نتائج العلم والتقنية وليس العكس .

إن توحيد العالم وفق مفهوم سيادة الدولة التي لها القدرة التقنية على بقية الدول، أمر غير صحيح ويتنافى مع طبيعة الإنسان الذي كرّمه الله وخلقه متنوعاً في طبعه وتفكيره ولغاته وفي ألوانه وأجناسه، فالعولمة على الطريقة المادية التقنية مخالفة لكل المعايير الإنسانية، والعلوم الإنسانية هي التي يجب أن توكل إليها المهمة في التقريب الممكن وليس التوحيد المستحيل .

وفى اختصاص العلوم الانسانية بدراسة الانسان، ككائن متفاعل عن وعي مع نفسه ومع الآخر، يكون شرط التفاعل الواعي مع الموضوعات ضروريا ؛ فكل الكائنات تتفاعل مع غيرها بطريقة طبائعية أو غريزية،أما تفاعل الانسان مع الموضوعات، فإنه يأتي عن ادراك وتفكير، أي عن وعي بما يفكر فيه أو يتعامل معه ؛ ويصاحب هذا تنوع العمليات النفسية للانسان بتنوع الموضوعات ؛ ولذلك كانت النفس الانسانية متعددة القوى ومعقدة التركيب، بحيث تجد لكل تفاعل في هذه النفس مايقابله من العمليات النفسية، كالتفكير والانفعالات والعواطف والتذكر والميل والنفور والحب والكراهية .....الخ .

ويتبع كثير من العمليات النفسية، سلوك خارجي يظهر على شكل أفعال أوعلامات جسمية .وقد يكون بعضها باطنياً غير قابل للاستدلال عليه من الخارج ؛ وتبعاً لهذا التعدد في تركيبة النفس الانسانية وهذا التنوع في وظائفها وتفاعلاتها، تعددت وتنوعت العلوم الانسانية، وتخصص كل علم بالبحث و الدراسة في موضوع من موضوعاتها ؛ بل تفرع التخصص إلى فروع تبعاً لمباحث ذلك الموضوع ؛ فكان علم النفس بفروعه وعلم الاجتماع بفروعه وعلم التاريخ بفروعه، وعلم الاقتصاد بفروعه، وعلم السياسة بفروعه ... الخ ؛ والقاسم المشترك بين هذه العلوم، هو الإنسان في تفاعلاته وسلوكياته ؛ والصعوبة المشتركة بينها، هو أن هذا الكائن متغير في تفاعلاته وسلوكياته وقناعاته، وفي ذلك تتحدد خصوصيته .

وأمام هذا التنوع والتعدد، لا نستطيع أن نحدد منهجاً واحداً للبحث في العلوم الإنسانية، فإذا كان بعض العلماء قد اتجهوا إلى تطبيق المنهج التجريبي على بعض من هذه العلوم القابلة لهذا المنهج إلا أن كثيراً منها لا تخضع لهذا النوع من المناهج كما هو الحال مع علم الأخلاق وعلم الجمال والشعور الباطني واللسانيات (علوم اللغة) ؛ لذلك، كان التعدد في مناهج البحث في العلوم الإنسانية مثل المنهج الاستبطاني والمنهج الجدلي والمنهج الاسترادادي التاريخي، وهي

مناهج وإن كان الاهتمام بها مبكراً زمن الحضارات القديمة، إلا أنها لم ترق في دقتها وشموليتها إلى ما عليه المناهج التجريبية المعاصرة .

والإنسان رغم إرادته، إلا أنه استطاع تحديد مواقفه واتجاهاته الإنسانية في أحكام متفق عليها، ساعدت على حصول هذا الاتفاق التجربة الإنسانية الطويلة، التي تبلورت على شكل عادات وتقاليد وأعراف انسانية وأخلاقيات مشتركة عامة ؛ فلا أحد ينكر الحق والخير والجمال كقيم مطلقة وفضائل متبعة في كل زمان ومكان، وأن الظلم والكذب وكل الرذائل المشابهة مستهجنة ومرفوضة بشكل عام كذلك. لقد أدركت الإنسانية هذا واتفقت عليه وصاغته فيما عرف بحقوق الإنسان ؛ وأن تعميق مفاهيم هذه الحقوق في النفوس وتطويرها بتطور الأحداث في الزمان والمكان، لا يكون إلا بتطور العلوم الإنسانية والإتجاه إلى فهم الإنسان الكلي ومتطلباته الجماعية ؛ كما أن هذه المفاهيم المشتركة للإنسانية تسبقها خصوصيات في الثقافة والقيم لكل مجتمع وأمة والتي يجب أن تحترم.

وتتمثل مشكلة العلوم الإنسانية أيضا، في موضوعيتها ؛ فهي ليست على ذلك الحال من الحيادية المطلوبة في العلم، فعادة ما تكون الأهداف والمقاصد محددة مسبقاً والأبحاث والدراسات موجهة لخدمة هذه الأهداف والمقاصد. وهذا أمر صار منتشراً ومعروفاً، فلا مكان لحسن النية والعمل لصالح الآخر بالمعنى المطلق، خاصة مع سيطرة مذهب المنفعة الخاصة والمصلحة الفردية، وإن إعادة التوازن بين مصلحة الفرد والجماعة وما يفرضه الاتجاه الإنساني من مراعاة للقيم والاخلاقيات، مطالب لابد أن تؤكد عليها وترعاها العلوم الإنسانية .

إن العلوم الإنسانية، وكما يقول ستروس، لن تكون علوماً على الطريقة الفيزيائية الواقعية ؛ ذلك أن العلوم الفيزيائية والطبيعية المادية توصلت إلى هذا المستوى بفضل قدرتها على عزل عدد صغير من المتغيرات الدالة ضمن ظواهر معقدة ؛ أما نحن رجال العلوم الإنسانية فإننا نبقى مسحوقين أو مغمورين من طرف عدد من المتغيرات التي هي في النهاية لدينا أكثر ارتفاعاً بما لا يقبل المقارنة. ومن ناحية أخرى، فالعلم يدرس موضوعات، ومن العسير على الإنسان على وجه الخصوص أن يقبل بأن يكون موضوعاً لنفسه وذلك بالتخلي عن وجوده كذات فاعلة، لأنه موضوع وذات في نفس الوقت[30]. وأمام هذا التحديد لخصوصية موضوعات العلوم الإنسانية وتميزها، يكون من الجدير بالبحث التوجه إلى تعميق مناهج العلوم الإنسانية وتفعيلها بما يحقق العودة إلى حقيقة الإنسان وهويته الباقية على مرّ الزمان والمتمثلة في عقله وروحه وأخلاقه وعاطفته كمصدر لكل تقدم وارتقاء إلى الأفضل، وأن تربية الإنسان على أنه كل متكامل هي المخرج لما آل إليه حاله بسبب طغيان المادة على النفس والروح.

---

(30) كلوديفي ستراوس، حوار معه ضمن كتاب حوارات في الفكر المعاصر، المرجع السابق ذكره، ص11.